طريقة تسطير الأوراق في زبيد

عبد الرحمن الأهدل[١]

ترجمها عن الفرنسية خالد طه الخالد

نقدم فيما يلي عرضاً للطريقة التي كان يتم إستخدامها في زبيد حتى منتصف القرن العشرين من أجل عمل سطوراً على الورقة وإعدادها للكتابة باليد. وقد لاحظ هذه الطريقة عبد الله الوصابي، الذي عمل في آخر أيام حياته حارساً لجامع الأشاعر الواقع في وسط المدينة[٢]. ويقع منزله في الربع العلي، أحد الأرباع الأربعة حيث تسكن أسر تمتلك مخطوطات، مثل بيت الأهدل برباطها وجامعها، وبيت الإنباري وبيت السالمي. وقد توفى عبد الله الوصابي في بداية صيف ٢٠٠٧، عن عمر متقدم، حوالي ثمانين سنة. إلا أنه استطاع أن ينقل شفهياً إلى كاتب هذا الموضوع طريقة صنع الأسطر كما لاحظها.

وهذا يعني أنه تم الانتقال من رصد الممارسة إلى إسنادها، إعتماداً على الذاكرة. وقد يكون من الخطأ أن يؤخذ الأمر على أنه علامة على إختفاء مهنة كتابة المخطوطات، ولكن بالأحرى النظر إلى تأثير إستخدام النساخ للورق المسطر بشكل مسبق، مثل دفاتر المدارس[٣]. هذا الإنتقال من رصد الممارسة إلى أثرها من خلال الإعتماد على الذاكرة يعتبر في كل الأحوال اللحظة المناسبة والمؤاتية لتدوينها. وموت الشخص الذي أخبر عنها يظهر مدى ضرورة ذلك. ولا توجد إلا القليل من الوصفات عن عمليات التسطير، فيما يخص المخطوطات المكتوبة باللغة العربية، في جميع الفترات، ولم تصل إلينا إلا القليل من نماذج المسطرة، بل والقليل من النماذج التي يمكن التعرف على مكانها وزمانها. لكن من جانب آخر، بعد الإطلاع على المخطوطات، تم التمكن من معاينة وجود طرق مختلفة للتسطير، كانت تُمارس بشكل منتظم أو بشكل مختلط[٤]. ومن المأمول أن يتبع هذا التدوين بتدوينات أخرى، في اليمن وفي المناطق الأخرى.

---

[1] عبد الرحمن الأهدل عضو في فريق المفهرسين، وشارك في إعداد *فهرس المكتبات الخاصة لمخطوطات زبيد*، الذي صدر الجزء الأول، المجلد الأول، في يونيو ٢٠٠٦ م. راجع www.cefas.com.ye، تحت النشر (ملاحظة من المحرر).

[2] عمل قبل ذلك في صنع قصيب المداعة (الأرجيلة).

[3] راجع المجلد ١ من *فهرس المكتبات الخاصة لمخطوطات زبيد*، ١، مكتبة عبد الرحمن الحضرمي، الجزء ١، صنعاء، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، الصندوق الاجتماعي للتنمية، ٢٠٠٦، المخطوطة رقم ٥، وفي الجزء الثاني، الذي سيظهر في ٢٠٠٨ م، المخطوطات من ٥١ إلى ٥٧ ومن ٦٢ و٦٣، النسخ المؤرخة من ١٣٩٢ إلى ١٤٠٥ هجرية، أي أعوام السبعينات وبداية الثمانينات. من جهة أخرى، فإن انتشار الكتب المطبوعة والتصوير أيضاً، لم يقضيا على النسخ باليد، بل من المعلوم حالة الكتب المطبوعة التي تم إعادة نسخها بشكل كلي باليد.

[4] راجع : ديروش، فرانسوا، *المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي*، ترجمة أيمن فؤاد سيد، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠٥، ص ٢٥٢ إلى ٢٨٢، الذي يقدم مراجع عن نموذجين من المسطرة في الملاحظة ١٨، ص ٢٥٨ : أحدها يعود تاريخها إلى القرن السابع عشر أو الثامن عشر، من مجموعات متحف الفنون الوطني في نيويورك (Art, collections du Metropolitan Museum of) New York, Islamic art, acc.no.1973.1، ومصورة في كتاب : Th. F. Mathews & R. S. Wieck, *Treasures in heaven : Armenian illuminated manuscripts*, New York/Princeton, Pierpont Morgan library/Princeton University Press, 1994, p. 127, fig. 88 (*ruling frame*) ؛ والأخرى، عثمانية نُشرت في : U. Derman, *The Sabanci collection*, « Calligraphy », Istanbul, 1995, « Mistar », p. 23, A ». بعض النماذج الأخرى معروفة، لكن من الصعب تحديد تاريخها أو أنها من مصادر غير محددة.

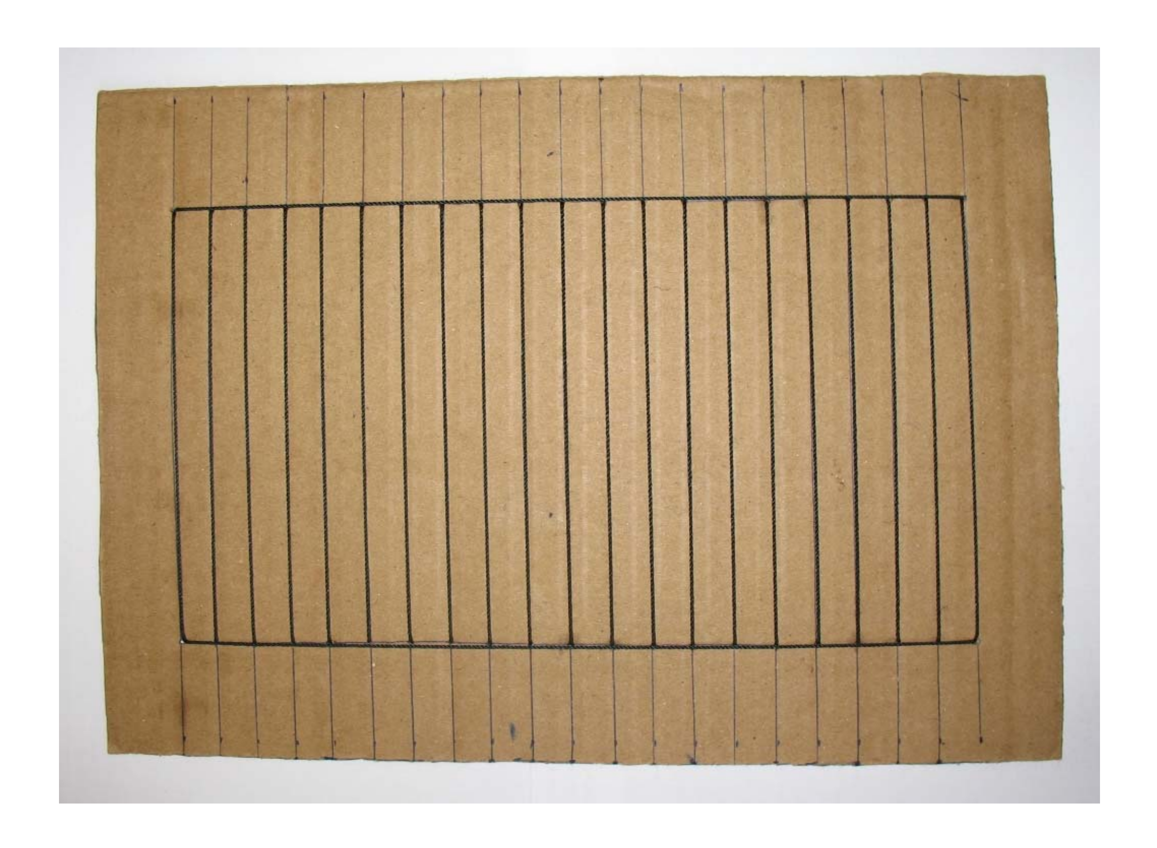
وفقاً للطريقة المذكورة أعلاه، ينبغي أولاً إعداد ما يُسمى إن صح التعبير "لوح التسطير". ومن أجل هذا، يُؤخذ لوح من الخشب أو الكرتون بمقاسات الورق المراد الكتابة عليه. ثم تُعمل خطوط أفقية، هنا بالقلم، على عرض سنسميه بـوجه لوح التسطير، مع الإبقاء على مساحة فارغة، في الأعلى وفي الأسفل للهوامش. أما الهوامش في اليمين واليسار فتحدد بخطين عموديين ويخضع تحديد عدد الأسطر في الورقة الواحدة للنقاش : بالنسبة لنا، نعتقد أنه يرتبط بنوع القلم الذي يستخدمه الناسخ أكثر من إرتباطه بمساحة الورقة، بعد ذلك تُعمل ثقوب لتقاطع كل خط أفقي مع الخطين العموديين، في اليمين وفي اليسار، على نحو يسمح بإدراج خيط فيه. وتعول على قطر الخيط أهمية كبيرة، حيث يجب أن يتمكن من ترك أثره، خلال المرحلة الأخيرة. يتم البدء بأخر ثقب في الأسفل من جهة اليمين، على خلف اللوح، وهذا يعني أن الوجه خالي من الأسطر. وعندما يمر الخيط من خلال الثقب، يبدو على وجه اللوح في جهة اليسار : يُسحب عندئذ على طول السطر الأول في الأسفل، مع التأكد في كل مرة من ثباته –حيث انه غير ملصوق ولا مربوط–، على نحو يسمح بالإحتفاظ بشدته. وحالما يمر الخيط من خلال الثقب الموجود في اليمين، يتم البقاء في اليمين، في الخلف، كي نشرع في تكرار الخط الأعلى مباشرة. حينها يظهر الخيط ثانية في الوجه من خلال الثقب الأيمن للسطر الثاني بدءاً من الأسفل ويُسحب على طوله كاملاً حتى الثقب الأيسر. يُمرر فيه الخيط ويُسحب، ثم يمر من خلال الثقب الأيسر للسطر الأعلى ويشد حتى الثقب الأيمن، إلخ. وحالما نكرر الخط الأخير في أعلى اللوح، يكون الخيط في الخلف. وبالتالي يُسحب أفقياً ويُعاد تمريره في الوجه، على الزاوية اليمنى أو اليسرى وفقاً لعدد الخطوط التي نريدها. حينها من الممكن تكرار الخطين العموديين اللذان يحدان الهوامش عن اليسار وعن اليمين، وتتكرر العملية في كل مرة بنفس الطريقة في أعلى وفي أسفل اللوح. ويُوصل طرفا الخيط، اللذان يشكلا في الأخير خط قُطري خلف اللوح، ثم يُثبتا معاً على نحو يسمح بحفظ التوتر العام. فيصبح هذا اللوح بمثابة ختم توضع عليه الورقة. ثم يدلك سطحها دلكاً خفيفاً بواسطة قطعة قماش على نحو يجعل الخيوط تترك أثرها على الورقة، على شكل الأسطر التي تُسمى "موجهات النص". يمكن تحسسها بشكل ملموس أو رؤيتها بالعين المجردة. وعند الحصول على أول ورقة مسطرة كلياً، يمكن تكرار العملية عدة مرات حسب الحاجة. وفي الأخير يتم الحصول على سلسلة من الأوراق، تحمل نفس عدد الأسطر وبمقاسات متساوية.

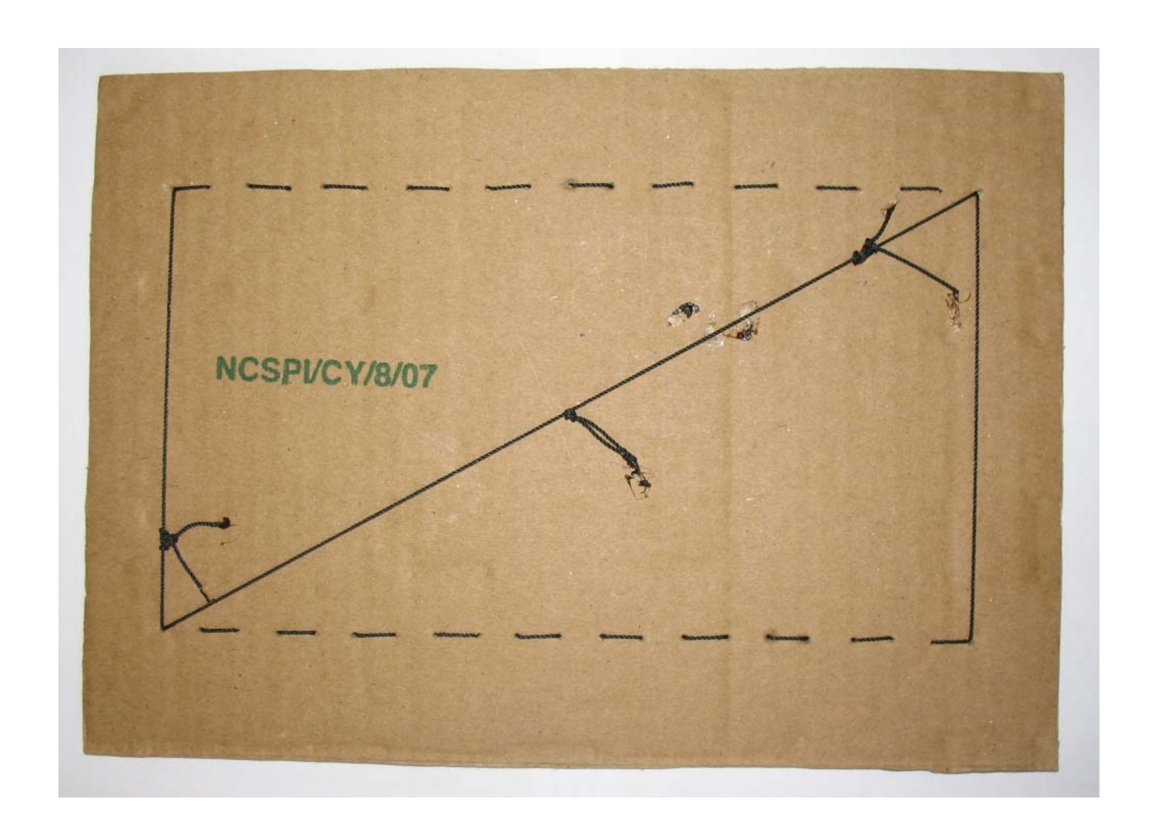
ويضيف البعض سطرين المسافة بينهما متقاربة، حول مخطط التسطير المرسوم مسبقاً. وتُعمل ثقوب في الزوايا الأربع ويمرر فيها الخيط بنفس الطريقة المتبعة في السلسلة الأولى من الخطوط. وعند تحبير أثرها يكون النص المخطوط مؤطراً. ويمكن أن يلعب الناسخ على تباين الألوان من خلال استخدامه لهذا الإطار لوناً مختلفاً عن اللون المستخدم داخله أي في كتابة النص.

لقد سمح هذا التدوين بتفصيل عملية صنع لوح التسطير، الذي يقوم بتسطير الورقة كلها في مرة واحدة. إلا أن التساؤل حول معرفة كيفية كان يتم التعامل مع الأوراق، مثلاً خارج الكراريس أو داخلها، وهي العملية التي تحدد عملية القيام بالتسطير، لا يجد، هنا، جواباً[5]. وينبغي بالتالي العودة إلى الإطلاع على المخطوطات المنسوخة في زبيد بهدف معرفة المزيد عنها.

---

[5] راجع *المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي*، ص ٢٥٨-٢٩٥.




NCSPI/CY/8/07